

عن أوراق

تعد أوراق البردي العربية من أهم المصادر التي تعين على دراسة تاريخ الأمة العربية في حقبة معينة من الزمن ، وحينما تحدد تلك الحقبة وتندر المصادر المعينة على دراستها تصبح أوراق البردي العربية أهم المصادر : ذلك أن العرب منذ دخلوا مصر فاتحين في السنة الثامنة عشرة للهجرة (١) وإلى ما بعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون من الزمان ، لم يتصد لتأريخ هذه المدة مؤرخ ثبت ، حتى قام ابن عبد الحكم فدون كتابه « فتوح مصر » (٢) وقد عاش منتصف القرن الثالث الهجري ، ويعتبر - بحق - أول مؤرخ معتمد سجل أحداث فتح العرب مصر ، وابن عبد الحكم - حين أرخ للفتح - سار على نهج المؤرخين الذين سبقوه ، فقد كان - أولا - عالما بالعديث ، ثم أرخ للفتح وبعده بدأ المؤرخون يسجلون ومصدرهم « فتوح مصر لابن عبد الحكم » .

غير أن أوراق البردي العربية التي عرفت في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي (٣) جاءت أسولا ومصادر لتاريخ العرب في مصر أول الفتح وقرونا هجرية بعده يقرب عددها من أربعة ، وهي أوراق البردي المصرية التي كتب عليها العرب منذ دخولهم مصر أو كلفوا عمالهم الأقباط الكتابة عليها ، حملت نصوصا عربية لم تكن تحملها الأوراق من قبل . فأوراق البردي كتب عليها المصريون منذ حوالي خمسين قرنا من الزمن (٤) بلغتهم المصرية القديمة (٥) ثم كتب عليها اليونان بلغتهم اليونانية

البردى العربية

وكتب الأقباط بلغتهم القبطية حتى جاء العرب فكتبوا باللغة العربية ، بل كانت الكتابات الأولى - أول الفتح - باللغات الثلاث جميعا (اليونانية والقبطية والعربية) على الورقة الواحدة في كثير من الأحيان ، الى أن عربت الدواوين في مصر سنة ٨٦ هـ (٦) ومن ذلك الوقت صارت الكتابة باللغة العربية فحسب الا الأعداد وكسورها التي لزمتم في الأعمال الحسابية فقد كتبت كما كانت تكتب في اللغة اليونانية .

هذه الأوراق البردية صنعت من سلائخ ساق نبات البردى الذي ينمو في المستنقعات والمياه الملحة ، وهو نبات أفريقي بعامة ومصرى بخاصة (٧) ، هذه السلائخ من تقطيع ساق ذلك النبات يضم بعضها الى البعض الأخر وتلصق وتجفف وتحك حتى تصقل فتصير قطعاً تلصق وتسمى أدرجا وتقطع منها أوراق حسب المساحات المطلوبة ليكتب عليها ، (٨) وقد صنعها المصريون وصدروها الى الأمم الأخرى حين كانت تحتل أوراق البردى المكناسة التي يحتلها الورق اليوم (٩)

وحين أخرجت الكشوف أوراق البردى كانت عليها كتابات باللغات المصرية القديمة واليونانية والقبطية ، ونشأت حولها دراسات سميت بعلم البرديات وكان مفهوم هذا العلم يصدق على البرديات بتلك اللغات فحسب ، وحينما ظهرت البرديات العربية تغير المفهوم أو اتسع ليشمل هذا النوع الأخير منها .

وتحمل هذه البرديات العربية نصوصا على جانب كبير من الخطر ، وهي كثيرة لم ينشر منها الا القليل ، والحديث عن النصوص العربية على أوراق البردي لا يمكن ان يتصف بالشمول ولا يدل على الاحاطة لأن العدد التشريحي لهذه الأوراق يبلغ ستة عشر ألف بردية (١٠) كانت كلها بمصر ثم خرج العدد الأكبر منها من مصر شراء أو غير شراء ، ولم يبق بمصر الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية والباقي موزع بين مكتبات العالم في آسيا وأوروبا وأمريكا بجامعاته ومتاحفه ودور الكتب العامة به ، ولم يعن بتشره الا عدد قليل من العلماء والباحثين : فلم ينشر من الستة عشر ألف بردية الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية ومن الثلاثة آلاف أقل من ألف من مجموعة مصر والباقي لا يزال مطويا ، ونصف عدد الأوراق تقريبا تملكه مكتبة فينا بالنمسا التي تضم ثمانية آلاف بردية عربية .

وهذه الأوراق - الا ما ندر منها - مفرقة ، والعدد الأكبر منها مقطوع وممزق والكتاب الكامل العربي الوحيد - حتى الآن - المكتوب على أوراق البردي هو كتاب في الحديث النبوي الشريف لأبي محمد عبدالله بن وهب الفهري المولود حوالي سنة ١٢٥هـ وقد عثر على الكتاب في ادفو بصعيد مصر ويشمل كتاب الأنساب وكتاب الصمت وكتاب أجناس من بني اسرائيل من جمع عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، وقد نشره وعلق عليه دافيد فيسل David Weill. وصدر ضمن مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة وطبع بمطبعة المعهد سنة ١٩٢٩ م .

والبرديات العربية التي نشرت تعمل نصوصا تصور حياة العرب في مصر - اول الفتح - اصدق تصوير : فعنها معاملات يومية من عقود للبيع أو للايجار ومعاملات اجتماعية من عقود للزواج أو للطلاق ، وما تشتمل عليه هذه العقود من توصية الزوجين بالمعاشرة بالمعروف أو التسريح باحسان ، والتزام اوامر الله سبحانه ، واتباع سنة نبيه صلوات الله عليه ، وعلاقات بين الحاكم والمحكوم من طلب لسداد الضرائب ، أو مطالب المحكومين الى الحكام وتوصية الحكام الكبار لمن هم دونهم في الحكم ، بالمحومين : ليلتزموا معهم الرفق ويعلموا بالعدل ، وموائيق من الفاتحين العرب قبل الناس بالعق والقسطناس . ويفطن القارئ المعنى باللفة الى ذلك النمط الذي صاغته تلك النصوص وما ضمت من لهجات للقبائل العربية التي جاءت الى مصر من أنحاء الجزيرة العربية المتفرقة (١١) تتعامل لغويا بلهجاتها الخاصة لاسيما وأن عمرو بن العاص قائد الجيش العربي الفاتح أنزل العرب بمصر مجموعات متألقة ، أنزلهم خطط القسطنط حيث عاشوا مجموعات متفاهمة ، فحافظت على لهجاتها وعاداتها وتقاليدها التي جاءت بها من الجزيرة العربية ، كما يفطن - من خلال تلك النصوص الى اختلاط اللهجات بعد مدة معينة من الفتح ، وقد اختلطت اللهجات العربية فيما بينها ، ثم باللغة القبطية ، وبرواسب اللغتين اليونانية والفارسية ، وكونت من ذلك وفي قالب الطبيعة المصرية لهجة هي أساس اللهجة القائمة في مصر اليوم ، كما يلمس تأثر لهجات العرب بهذا الاختلاط أيضا ، هذا الاختلاط الذي قوى أواصره الامتزاج والتعامل والمصاهرة بين العرب وبين المصريين

فحين انتقلت اللغة العربية الى مصر ، استطاعت أن تغزو مصر كماغزاها العرب ، وأن تستقر بها كما استقر العرب ، واضطر المصريون الى أن يحذقوا العربية ، فلم يمض الا وقت يسير حتى الف الآباء البطارقة كتبهم بالعربية مثل ابن البطريرق رئيس الكنيسة وساويرس بن المقفع صاحب سير الآباء البطارقة وغيرهما (١٢) وبعد الفتح العربي كانت اللغة العربية - اول الامر - في حيز محدود في مصر يتكلمها العرب ومن جاورهم من المصريين الذين اضطروا بحكم الجوار الى أن يختلطوا بالفاتحين وأن يعرفوا لغتهم ، ثم ادخلت الاصطلاحات العربية في الدواوين فاضطر المصريون الى أن يعرفوا لغة العرب ، كما كان لانتشار الدين الاسلامي في مصر اثر كبير في نشر اللغة العربية بين المصريين ، اذ اضطر من أسلم منهم الى أن يتعلم اللغة العربية حتى يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والى أن يفهم دروس الفقه - وكان العرب يخرجون من رياضهم في الربيع ويتصلون بالمصريين في الريف فكان ذلك من أسباب انتشار اللغة العربية بين الشعب حتى اضطر المصريون الى أن تقل عنايتهم باللغة القبطية (١٣) ، وانتشرت اللغة العربية في مصر حتى ذبلت اللغة القبطية ذاتها وتركها المصريون واهملوا شأنها حتى في أحوالهم الخاصة ، وذاعت لغة العرب وفشت في البلاد فبدات منقوشة على النقود التي ضربت اول مرة سنة ٧٥ هـ واتخذت في الدواوين وكتابة الحكام ، واول كتابة الدواوين باللغة العربية كان في سنة ٨٦ هـ (١٤) ، وكتب القديس شنودة مؤلفاته باللغة القبطية ثم اضطر الى أن يكتبها مرة اخرى باللغة العربية حتى يتسنى للأقباط أن يقرءوها ، وبعد أن كانت مراسم الكنيسة تقرأ باليونانية وتشرح بالقبطية ثم صارت بالقبطية فقط - قرءوها بالقبطية وشرحوها بالعربية وازداد العاج الناس في ترجمة الكتب الدينية من اللغة القبطية الى اللغة العربية (١٥) - وبعد الفتح أسرع الانحلال الى الحضارة الرومانية الاغريقية التي كانت بمصر ولم تمح اللغة القبطية واليونانية دفعة واحدة بل قل استعمالهما تدريجا وحلت محلهما اللغة العربية والآداب العربية سائرة بغطى وتيدة، فقد روى عن خالد بن يزيد بن معاوية أنه أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي وأن هذا اول نقل في الاسلام من لغة الى لغة (١٦)

وتأثرت اللغة العربية بالاصطلاحات المصرية فالمصريون هم الذين يحددون الجهات بالبحرى والقبلى ولا يقولون الشمالى والجنوبى (١٧) ، وعرف كثيرون من العرب اللغة القبطية وتخالطوا بها فقد قيل ان البطريرق يوسف عندما حوكم سنة ٨٥٠ م خاطب رعيته باللغة القبطية بحضور عدد كبير من العرب ، وفهم العرب كل ما قاله وحدثوا به القاضى (١٨) ، وروى في أخبار القاضى خير بن نعيم أنه كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها وكذلك شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم .

كما روى في خبر خروج العلويين بالفسطاط سنة ١٤٥ هـ أن ابن حديج وقف على الباب الذى ناحية بيت المال فكلم خالد بن سميد وهو فوق ظهر المسجد كلمة قبطية (١٩)

وزاد اختلاط العرب بالمصريين وتزوج العرب من نساء مصريات ، فلم يمتزج الا زمن بعد الفتح حتى تكون في مصر شعب اسلامي عربي (٢٠) وكان نتيجة هذا الاختلاط أن نشأت لهجة للتعامم بالعربية وكانت أساسا لهجة المصريين في استعمالهم اللغة العربية اليوم .

ومن ملامح هذه اللهجة تلك التي ظهرت واضحة في نصوص أوراق البردي تخفيف الهمز في لهجة المصريين وكانت هذه الظاهرة واضحة في لهجة العجازين في العصر الجاهلي ، وكسر حرف المضارعة في لهجة المصريين جاءهم من لهجة القبائل اليمنية الواقعة من الجزيرة العربية ولامح أخرى متنوعة تحتويها بعوث قائمة تدل على أن المصريين اختاروا - فيما اختاروا - من ظواهر لهجات القبائل العربية التي وفدت الى مصر ما وافق طبيعتهم وكونوا به لهجتهم التي لا تزال قائمة حتى اليوم ، أما لبناتها وأصولها فمرسومة في نصوص أوراق البردي العربية من قبل القرن الثاني الهجري .

وفضلا عن بعض الملاحظ اللغوية ، فإن نصوص أوراق البردي العربية تدل على عدل العرب في حكمهم مصر ، ورفقهم بمحكوميهم ، وتقوى الله فيهم في تلك المدة من الزمان - ومن أوثق الأدلة ما كتبه القائد الأمير العربي على نفسه حين دخل بجنوده وقد نفذ زادهم فطلب الأمير من عامله الوالي شياة يأكلها جنوده وكتب على نفسه عهدا بما أخذ ومما قال :

بسم الله أنا الأمير عبد الله أكتب اليكما خريسطورس وتيود وراكبوس عاملي هيراكليوبولس

لامداد المسلمين الذين معي ، أخذت ٦٥ (خمساوستين) شاة فقط في هيراكليوبولس .

بلا زيادة ولا يضح ذلك حررت هذا الاقرار وكتبته أنا حنا العملة والشماس في ٣٠ برمودة من السنة الاولى من البريديوس الأول .
ثم قال :

عن أوراق

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اخذه عبد الله ابن جابر وجنوده من الشياه
المخصصة للذبح في هيراكليوبولس اخذنا من هذه الشياه خمسين .

من نائب تيود وراكبوس الابن الثاني للانبا كيروس ومن وكيل خريسطقورس
اكبر اولاد الانبا كيروس ثم .

خمس عشرة شاة اخرى اعطاها لتذبح لعاشيته في مراكبه وخيالته والراجلين
المدرعين .

تحرر في شهر جمادى الاولى من سنة الثنتين وعشرين . كتبه ابن حديده .
وتنطق كلمات هذه الوثيقة بمدل الأمير القائد العربي واعترافه بالعق وهي
في غنى عن التعليق في هذا المقام .

وتعتبر هذه البردية اقدم بردية عربية حتى الآن وهي مؤرخة سنة ٢٢ هـ (٢١)
وواحدة من مجموعة الارشيد وق رينر بالنمسا .

هذه الاوراق البردية تصور الحياة العربية المصرية - اول عهدنا - اصدق تصوير
لان نصوصها كتبت بالعاج امور الحياة ، واستجابة لضرورتها - ولم يقصد فيها الى
تأليف ، وما يلزم التأليف من اختيار وتنسيق ، انما كتبها الناس وهم على طبيعتهم
فصورت حياتهم اصدق تصوير .

والأمل معقود على ان تقرا بقية الاوراق - وحينئذ تتضح معالم هذه المدة في تاريخ
الامة العربية ، بل تضاه جوانبها ومدخلها وتكشف حقيقتها باوثق الأدلة وأقوى
البراهين .

دكتور

عبد العزيز الدالسي

البردى العربية

- ١ - بشار ، فتح العرب لمصر ، عربية معهد فريد أبو حديد ، ط دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٥ م ص ١٥٦
- ٢ - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، نشر توى ، ط ليندن ١٩٢٠ م ص ٤٦
- ٣ - Grohmann. A, From the World of Arabic Papyri, - ٣
Cairo, 1952 p. 8,10
- ٤ - نجيب ابراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ط الاسكندرية ٢٢/١
- ٥ - سليم حسن ، الأدب المصرى القديم أو ادب الفراعنة ط القاهرة ١٩٤٥ م ٢٧/١
- ٦ - السيوطى ، حسن المعاصرة ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢
- ٧ - ١ - ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ط القاهرة ١٢٩١ هـ ٨٧/١
Winter, J, Papyrology (its Contributions and Problems)
Michigan Alumnus. Quarterly Riview, Summer
1936. vol 42 No 23 P. 234
- ٨ - Pliny, Natural History vol 4 - ٨
translated by H.Hackim, London 1952 P. 234
- Lucas .A, Ancient Egyptian Materials and
Industries, London. 1934
- ٩ - Grohmann. A, From the world of Arabic Papyri, - ٩
Cairo, 1952 P. 1
- ١٠ - Grohmann. A, Allgemeine Einfuehrung in die ara- - ١٠
arabisehen Papyri, Wien. 1924
- ١١ - عبد الله خورشيد البرى ، القبائل العربية بمصر والرها في الأدب في القرون الثلاثة
الأولى للهجرة رسالة ماجستير ١٩٥٦ م
- ١٢ - محمد كامل حسين ، في الادب المصرى الاسلامى ط القاهرة ١٩٢٩ م ص ١٣
- ١٣ - المرجع نفسه ص ٣٠ ، ٣١
- ١٤ - السيوطى ، جلال الدين ، حسن المعاصرة ، ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢
- ١٥ - محمد كامل حسين ، في الادب المصرى الاسلامى ط القاهرة ، ١٩٢٩ م ص ٣١ - ٢٣
- ١٦ - ابن النديم ، الفهرست ، نشر فلوجل ط لبيزج ١٨٧١ م ص ٢٤٢
- ١٧ - المقرئى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاناير ط القاهرة ١٢٧٠ هـ ٢٣/١
- ١٨ - Quatremère, Recherche sur la Langue et la - ١٨
Littérature de L'Egypte, Paris 1808 p. 34
- ١٩ - الكندى ، الولاة والقضاة ، نشر جست ط بيروت ١٩٠٨ م ص ١١٣
- ٢٠ - Lane Poole, History of Egypt in the Middle - ٢٠
Ages, London 1925 P. 15
- ٢١ - Grohmann. A. Apercu de papyrologie arabe, études - ٢١
de papyrologie, Société Royale
Egyptienne de Papyrologie. Tome 1 1e
Caire 1932 P. 28.